

تحت الضوء

جلسة خاصة مع الفنان الشعبي الذي أضحك الأجيال

صلاح تيزاني: أطالب بلقب "مهرج الجمهوريّة"

في مكتبه في نقابة ممثلي المسرح والسينما والاذاعة والتلفزيون في لبنان في منطقة بدارو، التقيناه صباحا. حيوية وطاقة ووجه بشوش وخفة لم تعكرها سنواته التي تربو على التسعين. أكثر من ذلك، ما زالت ذاكرة صلاح تيزاني متقدة، يستعيد كل تفاصيل مسيرته الفنية بحذافيرها والجولات الطويلة التي كانوا يقطعونها من شمال لبنان الى جنوبه من اجل احياء حفلة بوضع ليرات... يتذكر لأنها كانت بكل بساطة "اجمل سنوات العمر رغم كل الشقاء الذي صادفناه في عالم الفن" وفق ما يقول



الفنان الكبير صلاح تيزاني.

رفاق الدرب الطويل الذي يزيد عن نصف قرن، تساقطوا واحدا تلو آخر. يستعيد صلاح تيزاني "اسعد" الدائم النسيان (لعب الدور عبد الله حمصي)، و"فهمان" النصاب (محمود مبسوط)، و"شكري" النوتي البخيل (صلاح صبح) و"جميل" و"امين" و"كوستي" وغيرهم من افراد فرقته الذين رافقوه نصف قرن... ويعد ان يذكرهم فردا فردا ويستعيد بعض النهفات والطرائف، يقفل الحديث بأن "الدنيا هيك"، راضيا بكل ما قدمته له الحياة.

هكذا يمكن اختصار شخصية صلاح تيزاني الذي ما زال يقبل على الحياة كشاب في العشرين. "الامن العام" التقته في هذا الحوار المتشعب.

■ كيف بدأ حبك للفن، وانت الذي عشت في مناخ عائلي ليس فيه فنانون؟
□ انا اؤمن بأن قدر الانسان مكتوب مسبقا، والفن عندي كان موهبة لا أكثر.

■ لكن الى اي مدى ساهم مناخ طرابلس في ذلك الوقت من حفلات وسهرات الارجوز في تكوين ذاتك؟
□ مدارس الامس كانت مختلفة عن مدارس اليوم. انا ولدت في باب التبانة، وكنت اتعلم في مدرسة الفاروق هناك. في نهاية كل عام دراسي، كانت تقام الحفلات، حيث يتم اختيار التلاميذ الموهوبين في الشعر، والغناء وغيرهما. كانوا ينتبهون الى المواهب ويغذونها. وانا كنت احب جدا اضحك زملائي واساتذتي في الصف،

وكنت افرح بأني قادر على اضحاكهم والسيطرة عليهم. كنت احب ان اقود واتزعم مجموعة في المدرسة، وهذه غريزة وموهبة. ويلعب المناخ العائلي دورا، فابي كان ضابطا في الجيش العثماني، وقد فرض علينا نظاما صارما ومنضبطا. هذا ما اثر علي، وصرت احب القيادة. وما انني كنت بارعا في الاناشيد الوطنية والحكي، كنت العب ادوارا في التمثيليات التي نقدمها في نهاية العام الدراسي. وفي الحارة خلال العطلات، كنت اجمع الاطفال واعلمهم تمثيليات لتأديتها. وكنت ازور كثيرا الصالات السينمائية التي كانت تعرض يومها الافلام الصامتة حيث كنت اشاهد "زورو" و"طرزان" وغيرهما، ثم اعلم اطفال الحارة ما شاهدته وننجز معا العرض او التمثيلية. حين كبرت، وانتقلت الى المدرسة الاهلية، كان كشاف النجادة قد اسسوا فرقة مسرحية واقاموا حفلات السمر، وكنت انا نجم هذه الحفلات والتمثيليات في الخمسينيات. وفي عام 1952، ذهبت الى بوخارست للمشاركة في مهرجان حيث مثلنا لبنان، لكن الامر كان محدودا يومها. اذ كان المجتمع ينظر الى مهنة التمثيل كأنها عيب، ثم اسست فرقة "كوميديا لبنان" تيمنا بـ"الكوميديا الفرنسية" عام 1957.

■ هذا ما اردت سؤالك اياه، هل شجعك اهلك على مهنة التمثيل؟

□ كان اهلي يرفضون ذلك رفضا قاطعا، وقد ضربني والدي مرارا بسبب التمثيل، وكان اولاد عمي يتهموني بأني اشوه سمعة العائلة. حتى بالنسبة الى المونولوج، فانا بدأت المونولوج قبل التمثيل. في حفلات طرابلس، كان المونولوجيست يرافق دوما المطرب. وفي ذلك الوقت، اشتهر كمونولوجيست كل من عبد الله المدرس ورفيق الاقيوني ويوسف حسني وعمر الزعني. كان هؤلاء يقيمون حفلات خاصة كما يشاركون في حفلات مطربين. وكنت انا اشارك كمونولوجيست في حفلات تقام في طرابلس. كنت القي دوما هذا المونولوج: "وعم اتعجب ليش الناس عم تهرب مني/ الحبايب مع القرايب ابتعدوا عني/

لاني مجرم ولا سراق/ اذن ليش مكروه/ عرفت السبب تاري ذنبي يمثل وبغني".

■ طيب، في عام 1957 اسست فرقة "كوميديا لبنان" التي تألفت من؟
□ من كوستي (احمد الضابط) وامين (غازي شرمند) وجميل (زكريا عرداتي) واسعد (عبد الله حمصي) الذين جاؤوا معي وبقوا حتى وفاتهم. بقي اسعد وهو مريض اليوم. ستون عاما اشتغلنا معا. بعدما اسسنا هذه الفرقة، صرنا نقيم حفلات في طرابلس. كنا نستأجر مسرح "مدرسة الفرير" بمبلغ 200 ليرة. نسدد مئة، ونروح نجول على اهل طرابلس لبيع البطاقات وتحصيل المبلغ المتبقي. كنا نصادف كثيرين ممن يشتموننا، واخرين ينصحوننا بالتفتيش عن مهنة نسترزق منها. كنا نقطع الطريق من اول طرابلس حتى نهايتها لبيع 25 بطاقة بـ25 ليرة. ثم كنا نقصد دولة الرئيس رشيد كرامي الذي كان يعطينا مئة ليرة لمساعدتنا وكان يحبني جدا، ويقدر الموهبة التي كان المجتمع يحاربها.

■ لكن العروض التي قدمتموها اثارت اعجاب الناس.

□ طبعا، فانا اتيت بهذه العروض الى تلفزيون لبنان.

■ اخبرنا اولاً عن العروض الطرابلسية وتفاعل الناس معها؟

□ انا كنت نجارا املك محل نجارة. كنت اتولى ديكور العرض بنفسي، وانا اقف على الباب لادخال الناس، ونجلسهم في مقاعدهم، ثم نعتلي الخشبة لنمثل. واذا وقعت مشادة في المسرح، كنا ننزل عن الخشبة لفضها. وكانت تقع المشادات دوما ونوقف العرض لفض الخلاف.

■ ماذا عن مواضيع هذه العروض؟

□ كنت اختار دوما مواضيع اجتماعية. مثلا، المسرحية التي دخلت بها الى تلفزيون لبنان كانت بعنوان "المسافر" عن شخص يريد ان يسافر الى كراكاساو. وشيئا فشيئا، عرف الجيران بأمر سفره، وصار كل جار يمر عليه حاملا حاجيات لقريبه او شقيقه او ابنه المغترب. مرة شنكليش، ومرة كيبس، وكشك الخ... الى ان يضيق المسافر ◀

نقطة على السطر

إعادة الاعتبار إلى الفنان الشعبي

هناك ميل مؤسف لدى جزء من النخب الثقافية والاجتماعية والاكاديمية عندنا، الى التعامل الفوقي مع كل ما يمكن تصنيفه في خانة "الفن الشعبي". انها في الحقيقة نظرة تعال، قائمة على سوء تفاهم فكري، قد تصل لدى بعضهم الى الازدراء والاقصاء. كان هذا الفن لا يليق بالمتعلمين، ولا يمتلك قدرا كافيا من الرقي كي يخاطب الذائقة النخبوية، وكي يحوز رضاها ويفوز باعترافها واحترامها... هل الفن الشعبي اذا مجرد "تهريج" (بالمعنى السلبي المتداول، وفيه ظلم ايضا لفن المهرج)، يتوجه حصريا الى الحثالة؟ هل هو محض تسطيح واسفاف يعتدي على الذوق ويلوث الخيال؟ هذه النظرة انما تعبر عن وعي البورجوازية القديمة التي لم تأخذ من التركة الاستعمارية الا الواجهة البراقة للحضارة الغربية. في حين ان الغرب الحقيقي، بما هو منظومة قيم ومرجع معرفي وقوة مهيمنة، يمجّد الثقافة الشعبية ويخصص لها معاهد البحوث والمتاحف، ويدرسها في اكااديمياته، ويعتبرها مرجعا حضاريا. الثقافة الشعبية تتعامل معها المجتمعات والدول المتحضرة بصفتها تعبيرا عن العبقورية القومية التي تفتقت عنها مختلف انواع المعارف والفنون والاداب: بدءا بالفنون الشفوية التي قام عليها الادب العظيم، كما قامت الموسيقى الكلاسيكية على الغناء الشعبي والتقاليد الفولكلورية التي انتجتها العامة، وتناقلتها الاجيال.

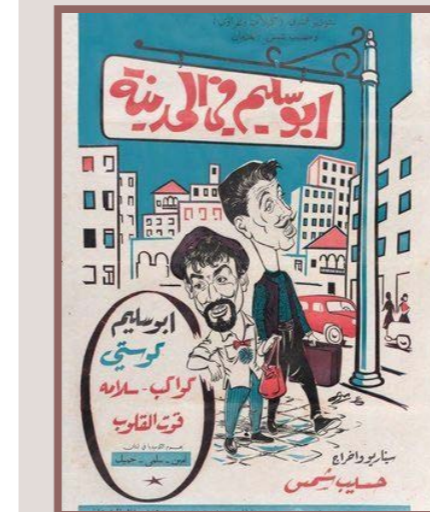
اين المشكلة اذا؟

في الفوقية الثقافية لبعض النخب كما ذكرنا؟ في انقطاع المؤسسات والافراد عندنا عن الواقع الشعبي الحي الذي يخترن وجدان الجماعة؟ في التماهي مع نماذج سطحية ووعي مغلوط للحضارة والتقدم؟ وربما اكثر: في هيمنة وسائل التواصل الجماهيري، واولها التلفزيون، التي تسطح البداع، وتنمط الخيال... ربما كان اصل المشكلة هو الخلط بين نخلط بين الثقافة الاستهلاكية والثقافة الشعبية! الاولى مفتعلة وغير متأصلة، اقرب الى ظواهر الموضة، تقوم على تحريك الغرائز والاهواء واللعب على العصبية والمكبوتات لاستقطاب الجماهير، لكنها لا تنتج الا "سلعا" رخيصة في الشكل، وسطحية في المضمون. الفقر الفني اذا، والاسفاف الاخلاقي. اما الثانية، اي الثقافة الشعبية، فتعبر عن المخيلة الجماهية، وتعكس روح الجماعة، وثقافتها المتجذرة في المكان والزمان... وتنتج عنها لغات وفنون راقية، صادقة، عفوية، جميلة، ذكية، ناضجة على بساطتها، وقادرة على مخاطبة وعي الجماعة.

تجربة "ابوسليم" وفرقته، بين المسرح والكوميديا، هي خير تجسيد لعبقيرية الثقافة الشعبية. هذه العفوية التي خاطبت الاجيال المتلاحقة، لم تكن مجرد مسخرة سطحية ولا تفرغ، بل تعبير عن الواقع، ونقده، وتجسيد للشخصيات والاطباع والعيوب الاجتماعية، ومشاعل الناس وثقافتها. صلاح تيزاني والمجموعة الخالدة في ذاكرتنا الجماعية امتداد لفن الكوميديا ديلاتي العريق الذي انحدر منه المسرح الكوميدى الحديث. حتى في تقنيات الارتجال والعفوية، انطلاقا من امهات وشخصيات محددة (المحتال والبخيل والساذج...)، نعم، قلّة تعرف ان الحلقات الاولى لهذه المجموعة الاسطورية اليوم، في التلفزيون الوطني، كانت تقدم على شكل بث مباشر. تتدرب الفرقة، ثم تقف امام الكاميرا وتمثل. لا امكان لتجريب المشهد مرارا، ولا مونتاج، ولا تسجيل حتى، لقد ضاعت تلك الحلقات التاريخية التي تبخرت مع الاثير...

تحية الى "ابوسليم". عسى طلته العابقة بعطر الزمن السعيد تذكركنا بضرورة احياء الفن الشعبي، وحفظه، وتعليمه، واحتضان طاقاته، وتشجيع مواهبه الجديدة.

افيشات افلام



ذرا ويمزق تذكرة الطائرة ويقرر عدم السفر بسبب ذلك. كانت مواضيع وقضايا تهم المجتمع وتنتقده. ولهذا السبب كانت العروض ناجحة. مثلا، لماذا لا تحقق الدراما اللبنانية نجاحا اليوم؟ لأنها بعيدة عن قضايا المجتمع ومشكلاته. يجب تصوير المجتمع بمختلف شرائحه العمرية وهمومه وقضاياها.

الملفت ان جيلكم المؤسس للدراما التلفزيونية يتمتع بعفوية في الاداء على عكس خريجي المعاهد؟
□ دائما ما كنا نقول لهم: الممثل لا يجب ان يمثّل. يجب ان يكون طبيعيا.

■ انت كنت تكتب نصوص اعمالك كلها؟
□ كلها كتبته انا. حوالي 2500 نص، الى جانب الحلقات الاذاعية وغيرها.

■ كيف لم تنضب افكارك؟ كما ان تقنية كتابة النص تتطلب الماما في وقت لم تكن تتوافر فيه اي معاهد في هذا المضمار؟

□ لا تنس انني لست متعلما ايضا. لكن الحاجة ام الاختراع، والموهبة تلعب دورا طبعيا. كنت اؤمن بأن الكوميدي يجب ان تكون لديه موهبة الارتجال. الممثل الكوميدي لا يجب ان يعيد المشهد مرتين. لذلك، كنت اعطي النص والادوار لاعضاء الفرقة، وتركهم يتصرفون على سجيتهم ووفق الشخصية التي رسمتها لكل واحد منهم.

ثم جاء التلفزيون الذي كان الكل يجهله. المخرج وكل العاملين في التلفزيون لم يكونوا يعرفون شيئا عنه. لقد تعلمنا بعضنا. مرة طلبنا بطيخة لأن العرض يتطلب ذلك، لكنهم رفضوا بحجة ان الميزانية لا تحتتمل. كنا نحن نتولى كل شيء.

■ هل تتذكر حلقتكم الاولى المباشرة على هواء تلفزيون لبنان؟

□ كانت الحلقة الاولى التي قدّمتها بعنوان "مدرسة الضيعة". ابوسليم يكون الوحيد الذي يعرف القراءة. وحين يأتي مكتوب لاحد سكان الضيعة، يهرول الى ابوسليم ليتلوه له. لذا، يقرر ابوسليم ان يعلم الضيعة كلها القراءة. هكذا تولد المفارقات من جهل اهل الضيعة. وكان فهمان يقوم بمقالب بالاستاذ.

■ وكيف كان التفاعل معها؟

□ اول حلقة في كانون الاول 1959. قدمنا العرض وانتهينا. وحين فتحنا باب التلفزيون للمغادرة، وجدنا حشدا من الناس يبخلقون بنا كأننا كائنات فضائية. وصاروا يسألوننا من اين اتينا، ومن نحن، ولم تكن يومها نتحدث اللهجة التي نتحدث بها اليوم. كنا نتحدث اللهجة الشمالية القح والقوية. لذا، وجدوا انها لهجة غريبة، وانا لم اكن اعرف ان لاهل بيروت والجنوب وكل لبنان لهجات مختلفة. في اليوم التالي، كتب جورج ابراهيم الخوري في مجلة "الصيدا": "ابشركم بأنه في طرابلس سبعة نجارين يغزون تلفزيون لبنان

وسيكون لهم مستقبل باهر لأنهم قدموا عرضا ناجحا بينما كان التلفزيون يأتي بفرق لم تحرز اي نجاح. هؤلاء لا تشعر بأنهم يمثلون، انهم طبيعيون جدا.

■ هل كنت تؤطر فرقتك؟ هل علمتها التمثيل؟
□ اجل، كنت اوجّهها.

■ هل ورث احد اولادك شغف الفن عنك؟
□ ابداء، مع انني اشركتهم وهم صغار في بعض الاسكتشات، ولم يحبوا ووجدوا ان هذه المهنة لا تطعم خبزا. كنا نأخذ متي ليرة وكنا عشرة اشخاص في الفرقة. لم يكن التلفزيون يدفع. بقينا منذ عام 1960 حتى عام 1970 نأخذ مبلغ 200 ليرة. عدت بعدها وافتتحت غاليري وكنت اديرها في موازاة عملي الفني.

■ هل تعاونت مع شوشو؟
□ مرة، جاء به المخرج الراحل محمد شامل الي. اراد ان يعرفني اليه وطلب مني ان ادخله في الفرقة. وافقت، وحين اتى شوشو طرق الباب. وحين فتحه ورأى الفرقة، خاف وهرول هاربا. يومها، طلبت منه ان يكتب له اسكتشا حيث يعطيه دور فتى يضع المصاصة في فمه. عرض الاسكتش على التلفزيون يومها، واحبه الاطفال وصاروا يقلدونه.

■ هل كنت تقرأ كثيرا لاستلهام المواضيع؟

□ كنت اقرا كثيرا. قرأت "عنتره وعبله"، وايضا "الاميرة ذات الهمة" المفعمّة بالخيال وهي اطول سيرة عربية في التاريخ، و"علي الزبيق"، و"الملك سيف". القراءة توسّع ملكة الخيال عند الانسان.

■ كيف تمضي نهاراتك اليوم؟
□ آتي الى النقابة في الصباح، او ازور بعض الاصدقاء، او اجلس على الروشة، ثم اعود الى بيتي في الكولا حيث اقرأ واطالع.

■ ما شعورك حين يقال ان صلاح تيزاني هو مؤسس الكوميديا الشعبية في لبنان؟
□ اجل، انا اسست شيئا وطورته، لكن احدا لم يساعدنا. كنا ننجح مسرحا يخسرنا المال رغم انه كان مسرحا مشهورا. ولذلك، كنت ادفع من جيبي الخاص احيانا. لكننا كنا نحب ما نفعله. كنا نجول لبنان من شماله الى جنوبه لتقديم العروض لقاء بضع ليرات لكنها كانت احلى سنوات العمر.

■ كيف تعرّف الكوميديا؟
□ الكوميديا هي كل شيء يثير الضحك وخارج عن المنطق. هناك نوعان، نوع "الفارس" وهناك "الكلاون". وارى ان التهريج هو اعظم نوع كوميديا رغم انه موسوم بشيء سلبى في المجتمع. المهرج الذي يرتدي بنظالا واسعا ويضع انفا احمر وينتعل بوطا عريضا يستطيع القيام بأي شيء. يمكن ان يجلس في صندوق صغير، ويعرف على الالات الموسيقية، ويغني ويمشي على الحبل، يقوم بكل شيء مضحك، وهذا النوع من الكوميديين هم قلة. ويا ليتهم يطلقون علي لقب مهرج، لا استأهل هذا الشرف العظيم الذي يعتبره الناس مسخرة. هذا نابغ من الجهل لدور المهرج. وانا اتمنى ان اكون مهرجا.

■ ما رأيك في الكوميديا اللبنانية اليوم؟
□ هذه ليست كوميديا. من يضحك على عاهات الناس واوضاعهم، ليس فنانا كوميديا. في مسيرتي كلها، لم اتخذ من اي عاهة مادة لعروضي الكوميديا. لم استخدم بتاتا المجنون، او الاطرش، او الذي يتأتى في اعمال الكوميديا. الممثلون الموجودون اليوم يتمتعون بمواهب، لكن المادة التي يشتغلون عليها، ليست كوميديا ولا تضحك. س.م.

